مرض السرطان من منظور طبي ـ اجتماعي
دراسة اجتماعية تحليلية

أ.م.د. عبد الفتاح محمد فتحي
قسم علم الاجتماع
كلية الآداب / جامعة الموصل

تاريخ تسليم البحث: ٢٠١١/١١/١ ؛ تاريخ قبول النشر: ٢٠١٢/٢/٢٣

ملخص البحث:

السرطان مرض خطير يصيب الإنسان والحيوان والنبات، ويعد ثاني أكثر الأمراض انتشارا في العالم بعد مرض القلب والشرايين، وهو يسبب الوفاة لواحد من كل خمس وفيات، وهو أيضاً سبب رئيس للموت في العالم، فانه من مجموع (٥٨) مليون وفاة في كل أنحاء العالم فان (٧،٦) مليون يموتون بمرض السرطان، أي بنسبة (١٣%) من جميع الوفيات في العالم.

إن أكثر الوفيات التي حدثت في العالم ٢٠٠٥م، كانت في الدول ذات الدخل المنخفض والمتوسط، ومتوقع أن يستمر زيادة مرض السرطان في العالم لتكون (٩) ملايين، إنسان في العالم ٢٠١٥م، و١١،٤ مليون إنسان في العام ٢٠٣٠م، تشير الإحصائيات الوطنية والعالمية إلى أن مرض السرطان يأتي في المرتبة الأولى بين الأمراض في العراق،في الوقت الحاضر، وذلك بسبب الحروب والحصار الاقتصادي الذي استمر لـ(١٣) عاماً، فضلا عن الأسلحة التدميرية، التي استخدمها أمريكا وحلفائها ضد العراق.

إن البحث هو اسهامة في التعريف بمرض السرطان Cancer dieases ومخاطره على الإنسان والمجتمع، ودراسة العوامل المؤثرة فيه، والتوزيع الجغرافي العالمي لهذا المرض، وكذلك التأكيد على دور البيئة الاجتماعية (Social Environmental) التي تحيط بالإنسان في المساعدة على انتشار هذا المرض، ودراسة العلاقة بين نوع التغذية، والتدخين، والمهن، والعادات والتقاليد، وارتباطها بانتشار مرض السرطان ، وقد وصف احد الباحثين الاجتماعيين السرطان بأنه (مرض اجتماعي Social dieses).

Cancer disease from asocial medical Perspective Analytical Social study

Asst. Prof. Dr. Abdul Fattah M. Fathi
Department of Sociology
College of Arts / Mosul University

Abstract:

Cancer is A dangerous disease, catches the human being and other creations. It is regarded as the Second most spread disease after heart disease in the World . It is also the main reason of children death. Cancer disease is the main cause of death in the world From a total of (58) million deaths worldwide cancer deaths account for (7,6) million (or 13%) of all deaths.

The medical statistical studies shows that the most deaths in 2005 occurred in low and middle income countries.

Cancer disease in the world is projected to continue rising, with an estimated (9) million people dying from cancer in 2015 and (11,4) million dying in 2030.

The national and international medical statistics point that cancer disease is set up in the first step among the whole diseases in Iraq at the present time, due to wars and economical sanctions and the types of weapons used by America and its allied against Iraqi people, for the period of 1990_2003.

The Study is a participation for the introduction of cancer disease and its hazards against man and society, and try to illustrate the main factors affecting it, and the geographical distribution of cancer disease around the world .

The study also shows that there is a correlation between Social environment, and cancer disease like habits, customs and malnutrition , smoking at last, some of social researcher described cancer as being " Social disease".

المقدمة

تثير كلمة سرطان Cancer ، الكثير من المشاعر، مثل الخوف المطلق، الرعب، والإحساس بالعجز الكلي، وتقول باحثة عربية متخصصة أن الأورام السرطانية، هي إحدى

اخطر المشكلات الصحية المتزايدة التي تتحدى الإنسان في العصر الحديث، إذ تشير الإحصاءات الصادرة عن الجمعية السرطانية الاميريكة، إلى أن تلك الأورام تتسبب في حدوث (٢٣%) من الوفيات سنوياً، لتأتي في المرتبة الثانية من حيث مسببات الموت، بعد أمراض القلب والشرايين.

أصبح السرطان أكثر انتشارا مما كان في أي وقت مضى بحيث يتسبب في وفاة واحد من بين كل خمس وفيات، وان ارتفاع نسبة الموت بسبب السرطان يصل الآن إلى خمسة ملايين في العام، وهو لا يفرق بين الفقراء والأغنياء.

إن مرض السرطان يشكل تهديداً خطيراً لملايين البشر في العالم، فقد رصدت له الملايين من الدولارات للأغراض البحثية والعلمية، وتطوير التجارب ألمختبريه، الهدف منها هو الوصول إلى نتائج تفيد في علاج هذا المرض، والحد من خطورته، كما جندت منظمة الصحة العالمية(WHO) التابعة للأمم المتحدة جهودها ومساعيها، وسعت من خلال قنواتها الإعلامية ومراكزها المتواجدة في العديد من دول العالم في المساهمة الجادة لمكافحة مرض السرطان، وأنشأت الكثير من الجمعيات الطبية المتخصصة بعلاج السرطان وألحقت بعض الدول مراكزها البحثية التخصصية بالمستشفيات التي تملكها، لان الأمر يتعلق بمستقبل الجنس البشري وسلامته.

إن الآثار النفسية والمجتمعية التي يخلفها مرض السرطان يستدعي التصدي لها ، ليس من قبل الأطباء فقط، بل انه ليوقع المسؤولية الاجتماعية والإنسانية على شرائح اجتماعية أخرى من بينها الباحثين المتخصصين في المجالات الاجتماعية والنفسية والاقتصادية لدراسة طبيعة المشكلة ، والتعريف بحجمها، وأبعادها، والعوامل المؤثرة في انتشار هذا المرض، بغية المساهمة في تلمس العلاج لها، ونرى ان المشتغلين في مجال الطب الشعبي هم الآخرون، قد استنفذوا جهودهم في محاولة إيجاد بعض الوصفات العشبية لعلاج هذا المرض.

إن ما وقع على العراق من مآسي ، وحروب ، وحصار اقتصادي من ١٩٩٠_٢٠٠٣م، عاش العراق خلالها أصعب، وأقسى الظروف السياسية، والاقتصادية، والاجتماعية والتي انعكست سلباً على الخدمات الاجتماعية والصحية، كان ضحيتها الإنسان العراقي الذي دفع الضريبة من صحته وحياته ومستقبله، وخلفت العديد من الأمراض، ومنها مرض السرطان " Cancer dieseas " وهو موضوع هذا البحث ، إذ تشير الإحصاءات الطبية الوطنية والعالمية الموثوقة أن مرض السرطان يأتي في المرتبة الأولى من بين الأمراض في العراق في الوقت الحاضر، بسبب ما استخدمته القوات الأمريكية وحلفائها من أسلحة ذات قوة تدميرية، أتت على تدمير البلاد والعباد ،وما نزال نعيش مآسيها.

والبحث إسهامة في التعريف بمرض السرطان ومخاطره على الإنسان والمجتمع ، ودراسة العوامل المؤثرة، والتي تدخل في أسباب انتشار أنواع السرطانات في العالم موضحا خريطة التوزيع الجغرافي العالمي للمرض، مبيناً لماذا تنتشر أنواع من السرطان هنا وهناك؟ ومحاولة ربط السبب بالمسبب، والتركيز على دور البيئة الاجتماعية في المساعدة بانتشار هذا المرض والتي تتمثل في العادات والتقاليد وطبيعة البشر والمجتمعات في طرائق أكلهم ومعيشتهم، فضلا عن ارتباط بعض المهن والأعمال التي يمارسها الإنسان في زيادة انتشار هذا المرض، معتمداً على مصادر وإحصاءات رقمية موثقة، توضح حجم المشكلة التي تواجه المجتمع الإنساني، ومجتمعنا العراقي على وجه الخصوص لقد وصف أحد الباحثين مرض السرطان بأنه (مرض اجتماعي)" Social disease".بمعنى أن مخاطر الإصابة بهذا المرض مجتمعياً هو التأثير السلبي على حركة الحياة الاجتماعية فضلاً عن حالة العجز والقصور التي يشعر بها المصاب بمرض السرطان تجاه نفسه وأسرته،وبالتالي فقدان المجتمع لكثير من الطاقات البشرية المنتجة والتي لها دور كبير في عملية التنمية الاجتماعية والاقتصادية.

المبحث الأول : الإطار المنهجي للبحث.

أولاً : مشكلة البحث وفرضيته.

يحدد البحث مشكلته بالسؤال الرئيس الذي يدور حوله، وهو السؤال عن واقع مرض السرطان في العالم والعراق تحديداً، وما هي حقيقة تبايناته؟ وتنصب المشكلة الرئيسة بعدة تساؤلات مهمة ترتبط بها، وهي على النحو الأتي : -

- ما هو مرض السرطان ؟ ومتى عرف ؟ وكيف كان الناس يتعاملون معه؟
- هل كانت للعرب معرفة به؟
- ما هو الواقع الجغرافي والمكاني للمرض في العالم ؟
- هل يتباين المرض في جسم الإنسان من عضو لآخر باختلاف العوامل المسببة؟
- هل يتباين المرض حسب النوع والبيئة؟
- كيف لعبت العوامل الاجتماعية والبيئية دورها في ظهور المرض؟

إن البحث يتقصى الإجابة عن هذه الأسئلة، وهو يضع فرضياته كحلول مبدئية أو إجابة مسبقة بالقول إن المرض عرف منذ القدم وعرفه العرب وعالجوه، والمرض يتباين مكانياً، بتباين العوامل الاجتماعية والاقتصادية والبيئية، وهو يتباين في جسم الإنسان بين عضو وآخر بحسب طبيعة الحياة والسلوك، والعادات والتقاليد المرتبطة به، والبيئة التي يعيش فيها الإنسان، فضلاً عن ذلك فهو يتباين حسب النوع (الجنس).

ثانيا : منهجية البحث.

لكل بحث سبيل في اتباع منهجية محددة توضح معالم ما يصبو إليه، وما يريد أن يحققه من نتائج ، لذا فان البحث لجأ إلى اتباع المنهج التاريخي ، لما تضمنه البحث من ولوج في البعد التاريخي لهذا المرض ، فضلا عن اعتماد المنهج الوصفي التحليلي ، والإفادة من البيانات والإحصاءات الرقمية التي حصل عليها الباحث كي تكون الصورة قريبة إلى الواقع ، كما أن البحث اتبع أسلوب تحقيق الأجوبة على الأسئلة المشار إليها في مشكلة البحث الذي احتوى على مشكلة البحث وفرضيته واهمية البحث ، ومنهج الدراسة، والمفاهيم الاساسية في هذه الدراسة، عليه فالبحث تضمن أربعة مباحث ، أكد المبحث الأول على الإطار المنهجي، بينما يشير المبحث الثاني إلى التعريف بمرض السرطان مشتملا النظرة التاريخية لهذا المرض، وكذلك التوزيع العالمي لهذا المرض، كما اهتم المبحث الثالث بتوضيح العوامل المؤثرة في مرض السرطان، ومنها العوامل الفيزيائية، والكيميائية، والبيولوجية وعوامل أخرى تلعب دوراً في تأثير المرض والتي ترتبط بتنوع الجنس (Sex)،والعرق(Race)، والمهنة(Profession)، والحالة الاقتصادية (Economical state)، والعادات والتقاليد (Customs, Habits) التي تسود مجتمع الإصابات بهذا المرض ، فضلا عن المناخ وتأثيراته على طبائع وعادات الناس في الأكل والشرب ، أما المبحث الرابع فانه تناول التباينات في الإصابة بمرض السرطان في العراق، مركزاً على الإصابات حسب النوع والبيئة.

ثالثاً: أهمية البحث .

شهدت السنوات الأخيرة زيادة ملحوظة في نسبة الوفيات بسبب مرض السرطان، وبرغم الزيادة المذكورة فان الوفيات بسبب الأمراض السرطانية تأتي في المرتبة الثانية بعد نسبة الوفيات بسبب الإصابة بإمراض القلب والشرايين، لقد أشارت إحصائية منظمة الصحة العالمية (WHO) إلى أن نسبة الوفيات بسبب الأمراض السرطانية في عام (١٩٠٠م) كانت (٣،٧%)، وارتفعت النسبة المذكورة إلى (١٦%) في عام (١٩٦٥م)، ثم ازدادت إلى (٢٠%) في عام (١٩٨٤م) فقد بلغت أكثر من (٤٠٠ ألف) حالة وفاة في الولايات المتحدة الأمريكية وجدها حسبما أوردته ((جمعية السرطان الأمريكية)) بضمنهم أكثر من (١١٤ ألف)، أو ما يعادل (٢٥%) وفاة بسبب سرطان الرئتين.

وتأتي الأمراض السرطانية في الموقع الأول لأسباب وفيات الأطفال في الدول المتقدمة، وخصوصاً أولئك الذين تتراوح أعمارهم بين (١٣-١٤) سنة ويعد مرض ابيضاض الدم (Leukemia) من أكثر أنواع الأورام السرطانية شيوعاً وتأتي بعده في المرتبة أورام الغدد اللمفاوية (Lymphomas) ، وأورام الدماغ والكلية .

تنحصر معظم الوفيات بسبب مرض السرطان في الكبار بين سن (٤٥_٦٥)، وقد لاحظ العلماء أن هناك علاقة بين التقدم في السن والإصابة بالسرطان وذلك لانخفاض المناعة لدى الكبار، وقلة قابلية الخلية على إصلاح المادة الوراثية المعطوبة (حامض DNA) المتأثرة بالعوامل المسرطنة،ويعد السرطان المرض الأكثر خوفاً أو رعباً من قبل غالبية شعوب العالم في الوقت الحاضر ، لقد حل مرض السرطان محل مرض السل أو (الموت الأبيض)الذي حدث في القرن الماضي ، وكذلك محل مرض الطاعون أو ما يسمى بـــ(الموت الاسود) الذي حدث في القرون الوسطى، وقد سجلت في عام ١٩٨٠ حوالي (٦ ملايين) حالة من حالات السرطان في العالم، وأكثر من (٤ ملايين)حالة وفاة بسبب هذا المرض ، وان النوع الأكثر مميتا هو سرطان المعدة المنتشر في آسيا، وكذلك سرطان الرئة والقولون وان الوفيات في الولايات المتحدة الأمريكية في منتصف الثمانينات بسبب هذا المرض تؤلف أكثر من($\frac{1}{5}$) الوفيات [١].

السرطان سبب رئيس للموت في العالم فانه من مجموع (٥٨ مليون) وفاة في أنحاء العالم فان (٧،٦) مليون شخص يموتون بمرض السرطان أي بنسبة (١٣%) من جميع الوفيات، وهذا يشكل تهديداً خطيراً لحياة الملايين من البشر في العالم الأمر الذي جعل العالم يجند طاقاته العلمية ويوجه الاهتمام لدراسة هذا المرض والوقوف على أسبابه ونتائجه ، خاصة عندما نعلم أن أكثر من (٧٠%) من جميع وفيات السرطان التي حدثت في العالم ٢٠٠٥م كانت في الدول ذات الدخل المنخفض والمتوسط ويتوقع أن تستمر زيادة مرض السرطان في العالم / مع تقديرات بوفاة(٩ ملايين)إنسان في العالم ٢٠١٥م، و(١١،٤ مليون) في عام ٢٠٣٠م[٢].

مفاهيم البحث

أولاً : مرض السرطان (Cancer Disease)

ورد في معجم الوسيط أن كلمة سرطان ، مأخوذة من سَرطَه، يسرطه، ويسرط سرطاً، وسرطاناً بمعنى ابتلعه، ويسرطه، وسرطه ابتلعه، وهو حيوان يسمى عقرب الماء ويكنيه العرب (أبا البحر) وهو من عمار البحر ، ويعيش في البر أيضا، وهو جيد المشي ، سريع العدو، له فكان ومخالب وأظفار حداد، كثير السنان، صلب الظهر، من رآه ظنه بلا رأس ، ولا ذنب عيناه في كتفه، وفمه في صدره ، وفكاه مشقوقان من الجانبين ، وله ثمانية أرجل ويمشي على جانب واحد [٣] . اما طبياً فهو داء خبيث يتركب من ورم يظهر في بعض أجزاء الجسم، فيكون سببا لتسمم البنية ، فيحدث أولا ورماً صغيراً ، ثم يأخذ في الازدياد ببطء، ولكن الأجزاء المجاورة له ترم وتمتد مستطيلة على هيأة أرجل الحيوان الذي يسمى(أبو جلا

نبو)، ثم يستمر الورم الأصلي على الزيادة، وما كان أمره بمعضل لو وقف الأمر عند حد الورم ولكن يعقب احد درجات الورم تسمم عام للدم[٤].

ثانياً: المنظور الطبي الاجتماعي (Medico _ Social Perspective)

المنظور (Perspective) مظهر الموضوع كما يتبدى للعقل من زاوية معينة، كأن تكون تاريخية أو ما شابه ذلك، أو هو القدرة على رؤية الأشياء وفقاً لعلاقتها الصحيحة أو أهميتها النسبية [٥].

للطب اليوم مذهبان احدهما يرى أن الجسم يحتاج أحيانا إلى العلاج بالمواد المختلفة مع استخدام التدابير الصحية، ويرى الأخر أن العلاج قد يعيد العضو المريض فيحوله من حال إلى حال، ولكنه في الوقت ذاته يوجب مرضا على عضو آخر، قد يكون فيه هلاك الشخص، فالطب في نظر هؤلاء يجب أن يقتصر على استخدام قوى الطبيعة من هواء طلق وغذاء جيد صحي

خالٍ من اللحم والمهيجات ، وعمل جسدي معتدل، واستحمام بالماء الفاتر أو البارد، وذلك من التدابير التي تعيق الأعضاء المريضة على مكافحة المرض الذي حل بها[٦] .

يتكون جسم الإنسان من أنسجة مختلفة ذات اختصاصات متباينة، وان الأنسجة نفسها تتكون من وحدات أساسية تسمى الخلايا، وهي مهولة العدد، لهذه الوحدات الأساسية خصائص كيميائية وفيزيائية محددة، ولا تعيش إلا فترة من الزمن [٧]، ففي حالة السرطان فان الخلايا تنقسم بكيفية مجنونه ولا تتوقف عن الانقسام قبل أن تقضي على الجسم وكأنها فقدت قدرتها على الانضباط، أو دخلت في حالة تمرد ضد المخطط العام[٨] ، أصبح السرطان (Cancer) أكثر انتشارا مما كان في أي وقت مضى، ونظراً لكونه مرضاً متسللا ولا يظهر له سبب، وكثيراً ما يكون مميتاً، فإنه يدخل الرعب في نفوس الكثيرين، وأوضحت الكثير من الدراسات المتخصصة أن السرطان نتاج تفاعلات بين المخلوقات والبيئة المحيطة بها، وتتأثر نسب الإصابة بالسرطان بالغذاء، والتدخين، والكحول، وتلوث الهواء، والمياه، والطعام، والكيميائيات السامة في المصانع، ونواتج الصناعة، والتعرض لأشعة الشمس والإشعاعات المتأتية، وكذلك فللسرطان جذور في عادات البشر، وأنماط التقنيات المحيطة بهم [٩] .

المبحث الثاني :

اولا: التعريف بمرض السرطان

إن دراسة السرطان تعرف بأنها دراسة الأورام، أو علم الأورام، والسرطان (Cancer) هو اسم لمرض يضم عدة أنواع من الأمراض، قاسمها المشترك، هو أن الخلايا في الأعضاء المصابة تخرج عن رقابة الجسم وتتكاثر بطريقة فوضوية دون أن تأخذ بعين الاعتبار حاجاته، والسرطان أنواع من حيث خطورته، فبعض سرطانات الجلد سهلة العلاج، بينما

سرطان الدماغ صعب العلاج، ويمكن تمييز أنواع المرض بحسب الأسباب التي تؤدي إلى ظهوره، وهو مرض غير معدٍ، وليس بمرض وراثي، وقد تتعدد الإصابة به بعضو واحد، أو في عدة أعضاء من جسم الإنسان، واسمه مشتق من كلمة (Carcinoma)، والتي مشتقة بالأساس من الكلمة اليونانية (Karakinos)، والتي يعني حيوان السرطان البحري، والتسمية للمرض بهذا الاسم كون الأوردة التي تحيط بمنطقة الداء أو الورم تبدو شبيهة في شكلها بحيوان السرطان[١٠]، ومرض السرطان يؤثر على الشباب والكبار وعلى الغني والفقير، وعلى الرجال والنساء، وكذلك الأطفال، ويمثل عبئاً مروعاً على المرضى أنفسهم، وعلى العائلات، والمجتمعات، ويعد السرطان واحداً من الأسباب المؤدية إلى الموت في العالم، وبشكل خاص العالم المتطور [١١].

يسبب مرض السرطان عوامل داخلية ، مثل الاضطرابات في الهرمونات، وانخفاض معالجة مرض الجسم، أو عوامل خارجية التي هي وليدة البيئة المحيطة، مثل المواد الكيميائية والأشعة فوق البنفسجية، ومنها ما هو مفروض علينا كالتلوث، ومنها نختاره بأنفسنا كالتدخين أو الإفراط في شرب الكحول،وتعد العوامل الخارجية أكثر تأثيرا على ظهور المرض من العوامل الداخلية.

ثانياً : نظرة تاريخية لمرض السرطان :

السرطان (Cancer) مرض يصيب الإنسان والنبات والحيوان، وان الفحوصات التي أجريت على هياكل الحيوانات القديمة، كالديناصورات أكدت على أن سبب انقراض تلك الحيوانات العملاقة، هو إصابتها بمرض السرطان، فضلاً عن ذلك ما اكتشفته العلماء من حالات سرطانية في عظام (المومياء) الفرعونية في أهرامات الجيزة، وقد وردت تلميحات مقتضبة من الأورام السرطانية أو ما يشبهها في أوراق البردي، ويقال أن ذكر السرطان كان وارداً في تضاعيف الملحمة الهندية (رامايانا Ramayana) (٥٠٠ ق.م) ، ويعد الهنود أول من استخدم معجون الزرنيخ لمعالجة نمو الأورام السرطانية، آما عند اليونان، فقد جاء ذكر السرطان ، ووصفه العالم اليوناني (أبي أقراط Hippocrates)(٤٠٠ ق. م) وذكر أنواعه العديدة، وهو الواضع للنظرية الخلطية التي ترى بان جسم الإنسان يتكون من ثلاثة أخلاط أولها الدم من القلب، والقشع (البلغم) من الرأس، والمرارة الصفراء من الكبد، والمرارة السوداء من الطحال،وباختلال توازن هذه الأخلاط يحدث المرض، وأيده في ذلك (جالينوس)، وأضاف له تأثير العوامل النفسية، كالإجهاد النفسي، والعصاب[١٢].وكان للعرب دورهم في دراسة الأورام السرطانية ، وقد تمكن الطبيبان الفيلسوفان العربيان (ابن رشد، وابن زهر) من إيجاد طريقة جديدة لتشخيص سرطان الحنجرة،والمريء، والمعدة ، واستعمال الخشخاش لتخفيف آلام المرض[١٣]،آما ابن القف، فقال أن السرطان((هو ورم تقرح له أرجل شبيهة

بأرجل السرطان، وذلك لامتلاء العروق المتصلة بمجمل الورم... والفرق بينه وبين الصلابة من وجوه أربعة، وهي أن السرطان ورم يتصل بعروق ممتلئة من مادة سوداوية، أما الصلابة فليس لها ذلك، وثانيها أن الصلابة هادئة ساكنة، وثالثها أن السرطان متقرح، أما الصلابة فغير متقرحة، وأكثر حدوث السرطان في النساء))[١٤].

وقال المجوس ((هذا المرض يتولد من المرة السوداء، وهو مرض إذا استحكم وعظم لا يمكن فيه العلاج، ولا يكاد يبرا، وقد يستعمل فيه القطع بالحديد إذا كان في عضو ممكن استئصاله، وقطعه حتى لا يبقى شيء من أصله، فإذا لم يكن فيه من ذلك وعولج بالحديد، تقرح، ولا يكاد ينتقل، ويكون لذلك مخاطر من وجود احدهما، انه ربما كان في العضو شرايين، وعروق كبار فيعرض من ذلك نزف حتى يخاف على العليل، وان ربطنا العروق والشرايين نالت الآفة الأعضاء الشريفة التي منها تنشا هذه العروق والشرايين، وأيضا فانه لا يمكن أن يكون أصل ذلك العضو))[١٥].

وبعيدا عن الإطالة فان فكرة الأخلاط ظلت سائدة في أوربا حتى ما بعد النهضة، حتى جاء العالم الفرنسي (هنري ليدرا)" ١٦٨٠_١٧٧٠م " بمفاهيم جديدة، أما اليوم فيتبع المنهج العلمي الحديث في دراسة مسببات مرض السرطان وأنواعه وطرائق معالجته.

ثالثاً: التوزيع العالمي لمرض السرطان :

يحدث السرطان بين بني البشر في أنحاء العالم كافة، وان دراسة التوزيع الجغرافي لمرض السرطان يشير إلى أن كل بلد تتفشى فيه أنواعاً معينة من السرطان أكثر من تفشيها في بلدان أنواع أخرى ، وان الفكرة الشائعة انه يحدث في الأقطار المتخلفة غير مقبولة، فمرض السرطان يعد ثاني مسبب للوفاة في البلدان المتقدمة بعد أمراض الأوعية الدموية القلبية، ففي أوربا ، وأمريكا الشمالية، وبشكل تقريبي فان واحداً من مجموع خمسة من السكان، يموتون بسبب السرطان ووفقاً لإحصاءات منظمة الصحة العالمية "WHO" فان عدد الوفيات بمرض السرطان يزداد في كل مكان من العالم من (٢،١٧٥،٠٠٠)مليون في سنة ١٩٥٠_١٩٥٢، إلى (٢،٦٢٣،٠٠٠) مليون في سنة ١٩٥٨_١٩٦٠، وبزيادة (٢٠%)[١٦].

إن دراسة التوزيع الجغرافي لمرض السرطان يشير إلى ما يأتي :

١ـ سرطان الكبد Liver Cancer

يتكرر حدوثه جدا في بعض مناطق أفريقيا، وجنوب شرق آسيا، والشرق الأقصى، أكثر مما يحدث في البلدان المتقدمة، وفي الهند فان سرطان الكبد غالباً ما تشير التقارير إلى حدوثه، وأكثر الظن أن سوء التغذية الحاد، هو واحد من حقائق الأسباب المرضية لسرطان الكبد.

٢ـسرطان المعدة والأمعاء Stomach and testinal Cancer

على الأغلب إن ثلث الوفيات بمرض السرطان هي بسبب السرطان في المعدة والأمعاء، لذلك فالنسبة تتفاوت من بلد إلى بلد آخر وبين الجنسين، فنسبة (٥٠%) من الوفيات تعزى لسرطان المعدة والأمعاء، إن معدل الوفيات بمرض سرطان المعدة مرتفع في اليابان وكذلك في تشيلي ، ووسط أوربا ، وفنلندة، ومنخفض في الولايات المتحدة الأمريكية .

٣ـسرطان الفم Oral Cancer

سرطان اللسان والفم، والبلعوم تبدو أكثر شيوعا في الهند أكثر من الأقطار الأخرى، فتدخين السيكائر، ووضع التتن، والتدخين الارتدادي، ومضغ مادة نبات التنبول هي من العوامل المؤثرة في حدوث السرطان، وأفادت مصادر طبية في الهند أن سرطان الفم يتسبب في موت شخص واحد في الهند كل سبع دقائق، ويتم سنوياً تسجل (٩٢) ألف إصابة جديدة بهذا المرض، وان (٨٠%) من المرضى الذين يأتون إلى المستشفيات للعلاج يكونون في مراحل متقدمة من مرض السرطان [١٧].

٤ـسرطان الرئة Lung Cancer

أن عدد الإصابات بسرطان الرئة ازداد بشكل حاد بعد الحرب العالمية في الأقطار المتقدمة، فعلى سبيل المثال، يعد مرض سرطان الرئة في بريطانيا هو السبب الرئيس في حدوث الوفيات بين الذكور، وفي الولايات المتحدة الأمريكية، فان معدل الوفيات بهذا المرض مستمر بالزيادة، إن الحقائق الرئيسة المسببة لهذا النوع من السرطان هو التدخين، والتلوث الجوي، وقال خبراء طبيون، أن سرطان الرئة يفتك بشخص واحد كل دقيقة في آسيا ويموت أكثر من (٥٧٠) ألف شخص منه في آسيا سنوياً، وذلك من بين نحو (٣،١) مليون شخص يموتون في العالم، بسبب هذا النوع من السرطان، ومن المتوقع أن يزيد بشكل كبير عدد الإصابات بهذا المرض في آسيا، خلال السنوات المقبلة[١٨] .

٥ـسرطان عنق الرحم Cervix Cancer

السرطان المتعلق بعنق الرحم من أكثر الإشكال السائدة في النساء في الهند والصين، وتظهر بشكل متكرر جداً في أمريكا الجنوبية ،وهو مرض يظهر بشكل نسبي وفير مألوف في الدول المتقدمة ، أما في الهند والصين فتبدو النسبة عالية، ففي الهند تبلغ نسبة الإصابة بالسرطان بنحو (٤٥%) من مجموع الأورام الخبيثة في النساء، وتعزى أسباب الإصابة بهذا السرطان إلى الزواج المبكر، وحالات الولادات المتكررة (كثرة الولادات) ونقص الفيتامينات، وضعف الاهتمام بصحة ونظافة الأعضاء التناسلية للمرأة، وهناك علاقة ترابطية بين سرطان الرحم وحالة الختان عند الذكور (الأزواج) ، بمعنى أن ختان الذكور يقلل من الإصابة بهذا السرطان عند النساء المتزوجات.

٦ـسرطان الثدي Breast Cancer

الاختلافات العالمية بين الإصابات ومعدلات الوفيات واحدة من أكثر الأشكال اللافتة للنظر لمرض سرطان الثدي، فان سرطان الثدي في الولايات المتحدة وبريطانيا واستراليا[١٩] ، يعد من أكثر أنواع السرطانات شيوعا أو المألوفة بين النساء، والعمر الحقيقي للإصابة بهذا المرض هو (٤٢) سنة، للنساء من ذوي البشرة السمراء، و(٥٣) سنة بين النساء الغربيات ذوات البشرة البيضاء،وينتشر بين النساء الغربيات بدرجة اكبر،وذلك يعود إلى عدم إرضاعهن أبنائهن.

٧ـسرطان القولون والمستقيم Colon and Cancer

سرطان القولون واحد من أكثر السرطانات شيوعاً في الولايات المتحدة الأمريكية، إذ بلغت الوفيات التي تحدث سنوياً بحدود (٤٥٠٠٠) وفاة، آما سرطان المستقيم فنسبته عالية في الدنمرك وسكوتلاند وبعض الأقطار الأوربية .

٨ـسرطان المريء Esophagus Cancer

ينتشر سرطان المريء في معظم دول أوربا الشرقية بينما يندر وجوده في شمال أوربا، ويعود سبب انتشاره إلى عادة تناول الطعام الساخن باستمرار.

٩ـسرطان الدم Blood Cancer

ينتشر سرطان الدم في روسيا، واليابان بدرجة أعلى من بقية الدول الآسيوية، ويعد من أكثر السرطانات شيوعا في الأقطار الأوربية، ويمكن أن نعزي أسبابه إلى التقدم الاجتماعي والتكنولوجي في هذه الدول وما رافقه من تلوث بيئي (Environmental Pollution).

المبحث الثالث : العوامل المؤثرة في مرض السرطان

أوضحت الدراسات الوبائية والسريرية، والباثولوجية ، والتجريبية أن عوامل الاختلافات التي تترابط مع السرطان هي كما يأتي[٢٠]: -

١ـعوامل فيزيائية : Physical Agents

إن العوامل الفيزيائية التي تحدث السرطان هي الإشعاعات فوق البنفسجية، التأينات الإشعاعية، الإشعاع الشمسي، التعرض للحرارة باستمرار. وإن الارتفاع الحاد في حوادث سرطان الدم (اللوكيميا) في الأقطار المتقدمة، يعزى إلى الطب الإشعاعي، وإن الإصابات بسرطان الدم بين الأطباء الاختصاص الذين يشتغلون في استخدام الطاقة الإشعاعية لعلاج أمراض السرطان اكبر عشر مرات من الإصابات التي تحدث بين أقرانهم الأطباء الذين ليس لهم اتصال بالطب الإشعاعي.

إن مأساة هيروشيما وناكازاكي في اليابان نهاية الحرب العالمية الثانية ١٩٤٥م، نتجت عنها مجموعة من حالات سرطان الدم. في دراسة عن مرض السرطان،إذ كان للإشعاع

الشمسي حصته في ذلك، ففي استراليا، ونيوزلندة، وبعض أقسام الولايات المتحدة الأمريكية، ثبت أن أمراض الأورام السرطانية، مثل سرطان الظهاري، وسرطان الخلايا تشكل نسبة كبيرة بين الإصابات، وتعزى هذه الإصابات إلى تأثير إشعاعات الشمس. والتعرض للحرارة بشكل مستمر يشكل عاملاً آخر من العوامل الفيزيائية، ويكون مسؤولاً عن مرض السرطان .

٢ـعوامل كيميائية Chemical Agents

وتشمل العديد من الموارد ، كالأصباغ، والمركبات ذات الرائحة القوية، والنيكل والحديد، عناصر فلزية، الكروم، الزرنيخ، المعادن، مواد غير عضوية والاسبستوس ، وتعد المواد الكيميائية سببا في تلوث البيئة ، وقد أشارت البحوث العلمية إلى خطورة ازدياد استعمال المواد الكيميائية التي تعد سبباً أساس في التسرطن.

٣ـعوامل بيولوجية Biological Agents

إن دور الفيروسات في تولد مرض السرطان عند الإنسان غير واضح لحد الآن .

٤ـعوامل ميكانيكية Mechanical Agents

منذ مدة طويلة والأطباء يربطون بين احتكاك الجلد المزمن أو المرض أو الجرح، والتهيج المسبب لمرض السرطان، ففي إحدى الولايات الهندية يصاب العديد من الرجال والنساء بمرض سرطاني يطلق عليه مرض سرطان (Dhoti) ويكون أسفل السرة، ويعزى ذلك إلى عادة لبس الملابس الضيقة، ويقول احد المختصين بان ذلك يكون بسبب حدوث تهيج مزمن، كذلك فان أمثلة أخرى عن التهيج المزمن التي تقود إلى الورم الخبيث، هي الالتهابات المزمنة، كما في قرحة العصارات الهضمية، والتهاب القولون المتقرح، والتهاب عنق الرحم المزمن، والقرحة الدرنية أو السلية.

٥ـعوامل التغذية Nutritional Agents

ومنها نقص البروتين، والفيتامينات، واليود، والغذاء الفاسد والملوث، وكذلك الكحول(الخمرة)، كلها تساعد على تولد مرض السرطان .

٦ـعوامل نفسية Psychological Agents

يعد الطبيب اليوناني (جالينوس) أول من اكتشف العلاقة بين السرطان، وحالات الإجهاد النفسي، والقلق، فقد ذكر في احد مؤلفاته التي يعود تاريخها إلى القرن الثاني (ق.م)، أن النساء السودانيات يكن أكثر عرضه للإصابة بسرطان الثدي من النسوة السويات ، إلا أن العلم الحديث لم يعر اهتماما كبيراً لتلك الملاحظة فهو يعزو سبب ذلك إلى أن الطرائق العلمية الحديثة في الدراسة تعتمد على الحالات التي يمكن قياسها والتحكم بها، وبذلك يكون من الصعب متابعة دور المشاعر الإنسانية في مجال السرطان، غير أن الفضل الكبير يرجع إلى الدراسات الوبائية التي أكدت وجود العلاقة بين حالات الإجهاد النفسي وظهور الأورام

السرطانية، فقد ذكر العلماء أن تأثير العوامل النفسية تؤدي إلى تلف الغدة الثونية والتي تعد عضوا مهماً في جهاز المناعة الذي يؤدي إلى التأثير على كفاءة الجهاز المناعي، كما تسبب العوامل النفسية في أحداث اضطراب وإخلال في تركيز الهرمونات المسيطرة على النمو وتكاثر الخلايا[٢١].

٧ـعوامل إضافية Host Agents

أ. العمر Age إن تفشي أو انتشار السرطان يزداد مع تقدم العمر، فيكون الإنسان أكثر عرضه للإصابة أو سريع التاثر بها بشكل خاص بعد سن الخمسين، ولم يتم التأكد فيما إذا كان ذلك بسبب عمليات التقدم في العمر أم لطول فترة حضانة المرض، أو التعرض الطويل لمواد مسرطنة (محدثه للسرطان) ففي حالة سرطان الثدي عند النساء، هناك ترابط أو علاقة بين عمر المرأة وخاصة في حملها الأول، وبين سرطان الثدي، فالنساء اللواتي أنجبن مولودهن الأول وهن في عمر الثلاثين سنة، عانين من مخاطر سرطان الثدي أكثر مرتين من النساء اللواتي أنجبن طفلهن الأول وهن تحت سن العشرين سنة .

ب.نوع الجنس Sex توجد اختلافات أو فروقات نوعية (رجل وامرأة) في انتشار السرطان، مثلاً سرطان الصدر أكثر في الرجال منه عند النساء .

ت.الحالة الزوجية Marital Status أن الزيادة في عدد مرات الإنجاب له علاقة بمخاطر التعرض لمرض سرطان الثدي، فالنساء الولودات يكن (اقل عرضه للإصابة بسرطان الثدي من النساء غير الولودات).

ث.العرق Race فالبيض،فالأفراد ذوي البشرة الفاتحة(البيض) يتعرضون لإصابات مفرطة بسرطان الجلد، بشكل خاص الوجه والرقبة، أكثر مما يتعرض له الأفراد الملونين .

ج. الوراثة Heredity كان يشك لفترة طويلة بتأثير الجينات الوراثية في حدوث السرطان، إلا أن الدراسات والبحوث الطبية أثبتت أن هناك علاقة وثيقة بين الإصابة بالسرطان والتركيب الوراثي للعائلة أو المجموعة الحاملة للمتلازمات الموروثة والمرتبطة بزيادة نسبة الإصابة بالأورام السرطانية ، فهناك مؤشرات قوية بان تشوه الكرموسومات وتضررها هي من الصفات المميزة لبعض أنواع السرطان، ولكن ليس هناك تأثير محدد لهذه العلاقة قد ثبت اختباره لحد الآن .

ح. المهنة أو الوظيفة Occupation إن أول تفسير لسرطان المهنة أعطى من قبل الأستاذ (برسفال بوت)(Parsifal Both) في العام الذي لاحظ أن مادة (السخام) كمادة محدثة للسرطان بضمنها سرطان كيس الصفن (جلد الخصيتين) منتشر بين عمال تنظيف المداخن في المملكة المتحدة. أن المهن المحدثة للسرطان تضعنا أمام تهديد كبير للإنسان في مختلف الصناعات، فالتعرض الصناعي للإشعاع ألايوني، النيكل، غبار الاسبستوس،الزرنيخ،غاز

الفحم، كلها على علاقة وارتباط مع مخاطر حدوث السرطان،وإن التعرف على الطرائق الصحيحة في العمل تقود إلى استئصال هذا السرطان .

خ. الحالة الاقتصاديةEconomic Status توجد علاقة محددة بين الحالة الاجتماعية _الاقتصادية وبين الإصابة بمرض السرطان وعنق الرحم أكثر شيوعاً عند أصحاب الدخل المنخفض عنه عند أصحاب الدخل العالي، وفي المقابل وجد أن سرطان الثدي أكثر شيوعاً بين النساء من أصحاب الوضع الاقتصادي _الاجتماعي العالي، ويستدل من ذلك أن هناك معامل ارتباط بين الوضع الاجتماعي _ الاقتصادي وحدوث مرض السرطان.

د. العادات والتقاليد Customs and Habits الكثير من العادات والتقاليد تؤدي إلى حدوث الإصابة بالسرطان، لقد أثبتت الدراسات أن في المناطق التي تكون فيها عادة مضغ التنبول وحده أو ممزوج مع التبغ والحامض تؤدي إلى الإصابة بالأورام الخبيثة في الفم والحنجرة.

الدراسات الوبائية Epidemiology Studies أظهرت أن هناك علاقة واضحة بين عدد السيكائر التي يدخنها الفرد وسرطان الصدر، وقد زاد عدد المصابين بسرطان الصدر في الوقت الحاضر لزيادة عدد النساء المدخنات ، بعض الباحثين في أمريكا يقدر انه لو توقف الأمريكيون عن التدخين فمن الممكن القضاء على سرطان الرئة خلال (٢٠ سنة) ، فالحكومة الأمريكية صرفت نحو (١٠٢) مليون دولار سنوياً في بداية عام ١٩٨٠م، وأكثر من (٢٠) مليون دولار لأغراض الرعاية وعلاج المصابين بمرض السرطان[٢٢]، وقد ذهبت الدراسات أن هناك ارتباط أو علاقة بين شرب الكحول المفرط وبين سرطان الفم والحنجرة، كذلك فان عادة تناول الأطعمة الحاوية على كمية من التوابل الحادة من الجائز أن تؤدي إلى مرض سرطان المعدة.

الحقائق البيئية Environmental Factor

أ. المناخ ، إن التعرض الزائد ولمدة طويلة إلى إشعاع الشمس له علاقة بسرطان الجلد.

ب. تلوث الهواء، من المسلم به عموماُ أن تلوث الغلاف الجوي المحيط بالأرض، يشكل أهمية في حدوث السرطان، وخاصة سرطان الصدر عند الإنسان فساكنو المدينة أكثر (٣) مرات عرضة للإصابة بسرطان الصدر من الذين يقطنون المناطق الريفية ، لقد أثبتت التحليلات السايكو_كيميائية Psychochemical Analysis أن نسبة كبيرة من سرطان الصدر تعزى إلى تلوث الهواء[٢٣].

المرتسم رقم (١) يوضح أمراض السرطانات الأكثر شيوعاً في بعض دول العالم

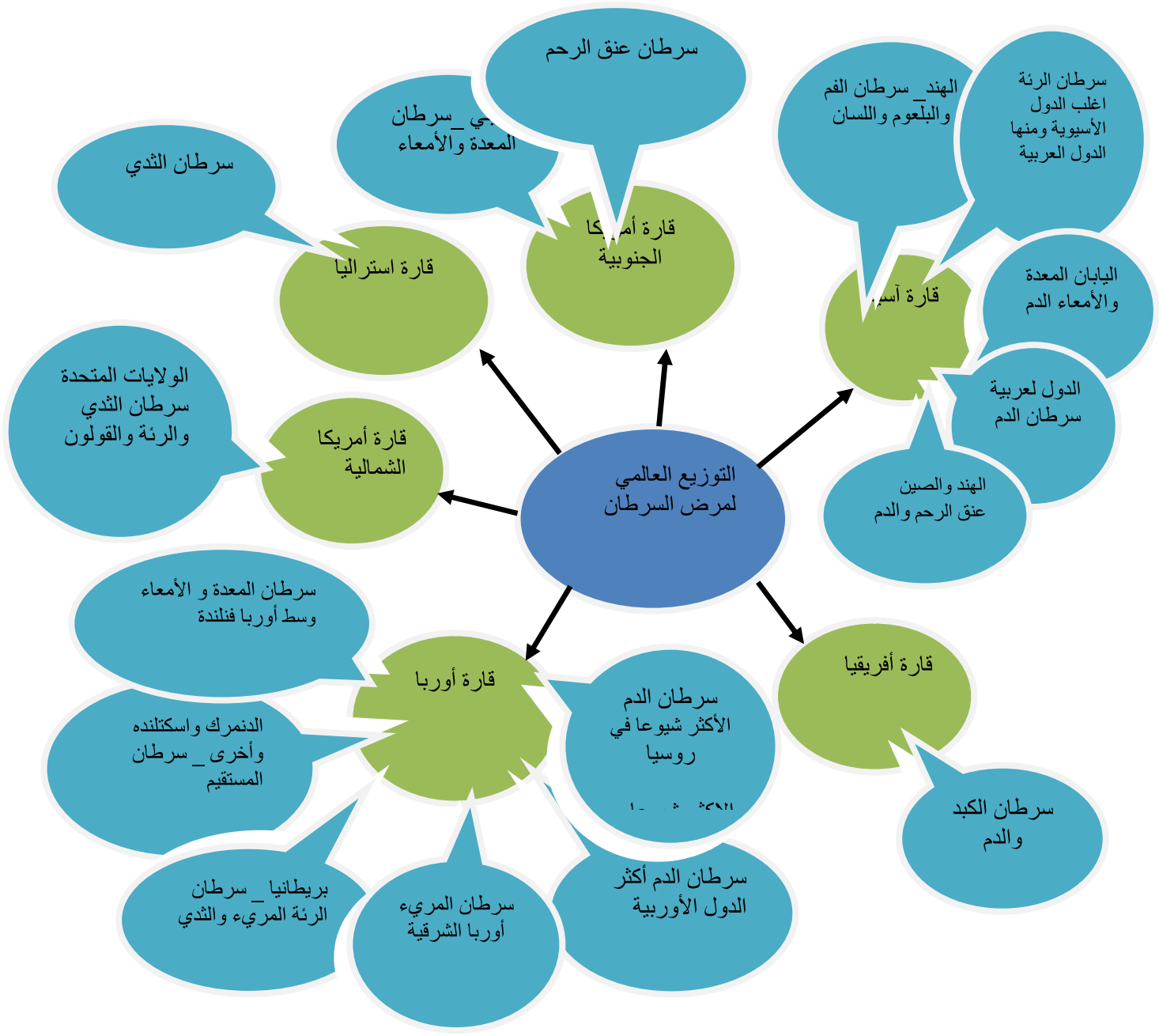

المبحث الرابع : التباينات في إصابات مرض السرطان في العراق

تشير التقارير الطبية ومصادر وزارة الصحة العراقية إلى وجود أكثر من (١٤) ألف عراقي مصاب بأمراض سرطانية وأورام، يموت منهم سنوياً نحو(٧٥٠٠) شخص، وتؤكد التقارير أن مستشفى الإشعاع الذري في بغداد يستقبل معدل (١٠) حالة سرطانية كل يوم [٢٤]، ويتوقع الخبراء بان المعدل السنوي للحالات السرطانية سيصل إلى نحو (٢٥) ألف نسمة، وهذا الرقم لم يبلغه أي بلد سوى اليابان بعد جريمة إلقاء القنبلة النووية على مدينتي هيروشيما، وناكازاكي نهاية الحرب العالمية الثانية [٢٥] .

أن احدث احصائيات منظمة الصحة العالمية(WHO) التابعة للأمم المتحدة (U.N) عن العراق بعد عام ٢٠٠٣م، تقول بان الدم يشكل (٣٠،٥%) من مجموع الإصابات الشائعة عند الأطفال، يليه اللمفاوية(٢٥،٧%)، وسرطان العظام(٥،١%)، وسرطان الغدد الصماء (١٣،٦%)، وسرطان الأنسجة الرخوة(المبيض)، وفي عام ٢٠٠٤م ازدادت الحالات في العراق بشكل كبير نتيجة حربي الخليج الأولى والثانية ١٩٩١وحتى عام ٢٠٠٠م، إضعاف ما كانت عليه قبل ، وزادت معدلات وفيات الأطفال، والإجهاض، وتضخم الغدة الدرقية، والجلد، وعجز الكليتين، وتشوه الولادات، وامراض السرطان ، مما يدل على التأثيرات الواضحة التي أحدثتها أسلحة اليورانيوم المنضب الذي استخدمته أميركا وحلفائها ضد العراق [٢٦]، وفي تقرير نشرته وكالة (IRIN) التابعة للأمم المتحدة بان (٥٦%) من المصابين بأمراض السرطان في العراق عام ٢٠٠٤م، هم من الأطفال تحت سن الخامسة، مع نسبة (١٣%) قبل خمسة عشر سنة، أي أنها مثلت زيادة بنسبة (٢٠%) من الإصابات لعام ٢٠٠٣م[٢٧].

يقول مدير مستشفى الطب النووي في بغداد، أن هناك ارتفاعا متزايدا في حالات الإصابة بالأورام السرطانية، تسجل نحو (٧٥٠٠) حالة وبسبب قلة الإمكانات المتوفرة، ونقص العلاج اللازم ارتفعت النسبة إلى (٩%) ، وأكد انه الحروب وما رافقتها من تلوث بيئي ناتج عنها، وكثرة الغازات التي تنفثها عوادم السيارات، وسوء التغذية، والتدخين، كلها عوامل ساعدت على ارتفاع نسبة السرطان في العراق على نحو مخيف فضلا عن غياب الوقاية من الأمراض السرطانية، التي أسهمت إلى حد كبير في ارتفاع نسب الإصابة، إذ أن غالبية الحالات التي يتم تشخيصها هي في مراحل متأخرة، وبذلك تصبح غير قابلة للعلاج[٢٨] .

المرتسم رقم (٢) يوضح العوامل المؤثرة في مرض السرطان

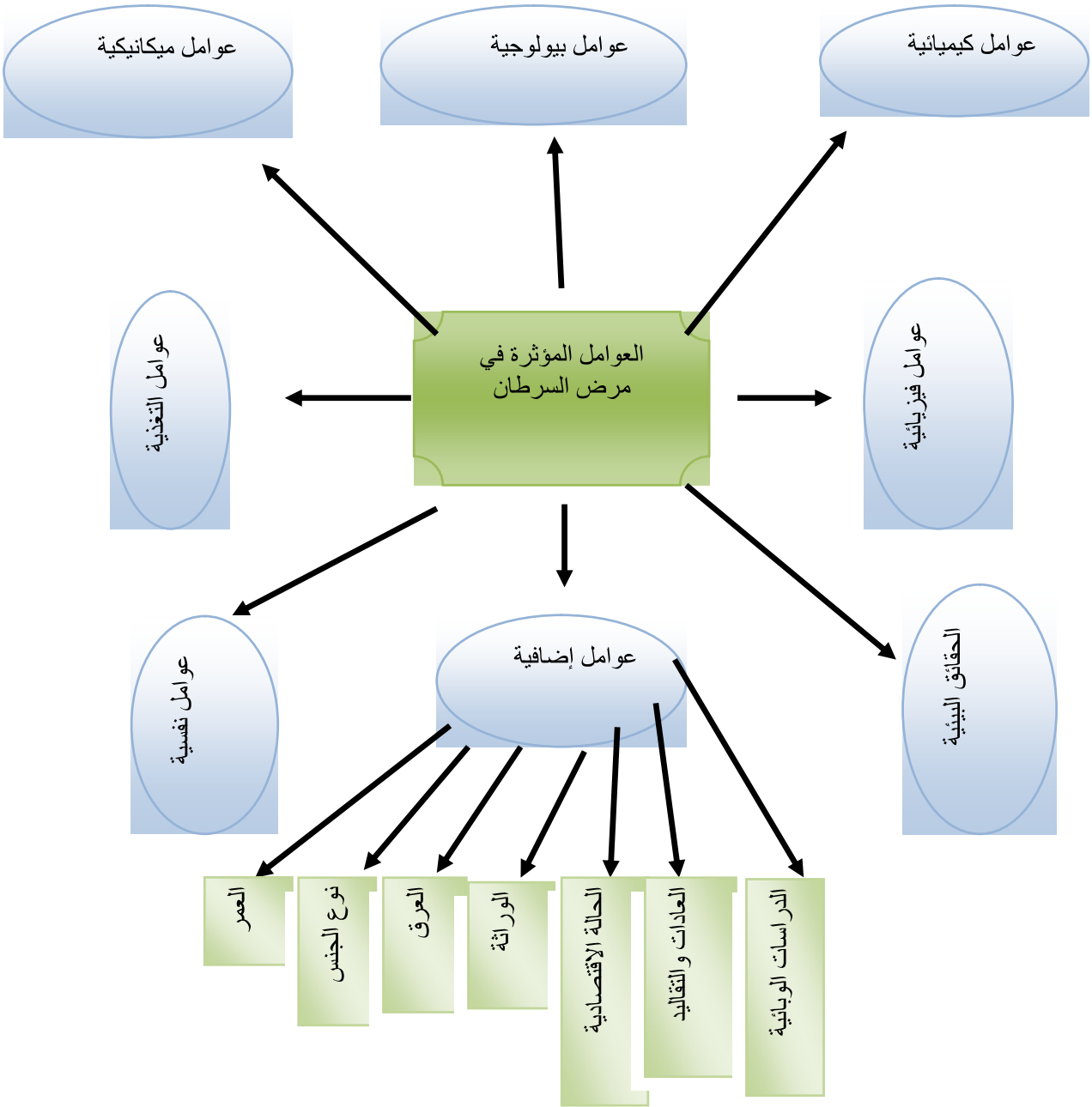

*التلوث الإشعاعي في العراق ومرض السرطان

خلال الثلاثة عشر سنة من العام ١٩٩٠ولغاية ٢٠٠٣م، عاش العراق أصعب واخطر الظروف السياسية والاقتصادية، والاجتماعية، منها الحصار الاقتصادي، والحروب التي شهدها العراق قد فتت في عضده، وأنهكته، فضلاً عما تركته الصواريخ والقنابل والقاذفات الصاروخية التي استخدمت في ضرب العراق وتدمير بنيته الارتكازية، أثرها السيئ على المواطنين، فخلفت الأمراض الكثيرة، ومنها مرض السرطان موضوع دراستنا، والغريب في الأمر أن هذا المرض يأتي بالمرتبة الأولى بين الإصابة بالأمراض[٢٩].

إن ارتفاع مرضى السرطان بأنواعه، يعود بالدرجة الأولى إلى ما جرى في منطقة (التويثة) الواقعة جنوب شرق العاصمة بغداد، وهو موقع نووي عراقي معروف (مفاعل تموز النووي)، وسبق أن تعرض هذا المفاعل للقصف من قبل طائرات الكيان الصهيوني عام ١٩٨١م، وما تعرض له من سلب ونهب إعقاب دخول قوات الاحتلال الأمريكي للعراق عام ٢٠٠٣م، إذ قام أهالي المنطقة القريبة من موقع المفاعل النووي بسرقة (٤٠٠) حاوية تحتوي على مواد كيميائية وإشعاعية ذات خطورة على البيئة، وعلى الصحة العامة، وان اغلب الذين قاموا بتلك السرقات، أناس جهلة وبسطاء لا يعرفون أنهم يعرضون أنفسهم والناس الآخرين لخطر الإصابة بالسرطان، فبعد تفريغها من محتواها استخدموها في بيوتهم، وبعضهم استخدمها كحافظة للألبان، وآخرون قاموا برمي محتوياتها في نهر دجلة، الأمر الذي أدى إلى تلويث مياه النهر المنحدرة صوب جنوب العراق، ولقد أثبتت الفحوصات الطبية، والإشعاعية التي أجريت بعد انتهاء الحرب على العراق بأشهر،وجود أمراض جديدة ، وبخاصة في المناطق التي كانت على تماس مباشر مع الموقع النووي، شهدت مستشفيات مناطق العراق الجنوبية ارتفاعا مخيفا في نسبة الإصابة بسرطان (اللوكيميا) [٣٠].

وأكدت القياسات الإشعاعية العلمية التي أجراها خبراء سلامة نووية للعشرات من البيئات المحيطة بمقر المفاعل النووي في منطقة التوثية، التسرب الإشعاعي إلى كل مكان، حتى البيوت، وكان بدرجة خطيرة جداً، ووجدت العالمة الهولندية (ريان تولي) تلوثاً بلغ أكثر من (١٠ ألاف) مرة الحد المسموح به، بسبب تدمير الأسلحة الكيميائية، والبيولوجية في الأراضي العراقية من قبل الأمم المتحدة (U.N) بعد عام، وفي مؤتمر صحفي عقد في عمان أيار ٢٠٠٥م، قال مدير برنامج الأمم المتحدة في العراق، بان التلوث الإشعاعي في العراق له مديات بيئية كبيرة، وأصبح مصدراً للقلق في جنوب العراق على وجه التحديد، مشيراً إلى أن القوات الأجنبية أفرغت (١،٩) مليون طن من المواد في هذه المنطقة[٣١].

أدى استخدام الذخائر المشعة لليورانيوم المنضب من قبل القوات الأمريكية وحلفائها في حربين طاحنتين ضد العراق إلى كارثة بيئية، وصحية نجمت عما خلفته تلك الذخائر المصنعة

من نفايات نووية، وهي مشعة، وذات سمية عالية، كان من نتائجها انتشار أمراض سرطانية، وأورام، وعلل وتلف جهاز المناعة، وأعضاء وأنسجة أخرى، وتشوهات ولادية، وولادات سيئة وعقم وغيرها، ستتوارثها الاجيال لآلاف السنين [٣٢]، لم تكن آثار هذا الدمار مقتصراً على العراقيين فقط، بل تعرض لتأثيره عدد من الجنود الأمريكيين الذين أصيبوا بأعراض عقب خدمتهم في العراق ٢٠٠٣م، مع أنهم كانوا يتولون مهمات غير قتالية، وثبت إصابة أربعة منهم بأعراض التسمم الإشعاعي ، عبر تنشقهم غبار اوكسيد اليورانيوم المشع المتولد من انفجار الذخائر، وأكد خبير الفيزياء النووية العالم الأمريكي(ليونارد دينزا مكاثيا) ظهور إصابات إشعاعية كثيرة لدى الجنود الأمريكيين في المستقبل، لان مفعول اوكسيد اليورانيوم طويل الأمد، وقد علق احد المختصين في مجال البيئة قائلا(إذا كانت هذه حال الجنود الأمريكيين الذين يفترض أنهم احتاطوا لمخاطر اليورانيوم المنضب في ساحة المعركة، وكان جيشهم هو الذي يستخدمه فما هي حال الناس الذين تم استخدامه ضدهم ؟!) [٣٣].

في ندوة مشتركة لوزارات البيئة،والصحة،والعلوم والتقنية العراقية، في تموز ٢٠٠٧م، أفصحت عن وجود التلوث الإشعاعي في العديد من المناطق العراقية ومن أعراضه: تشوهات ولادية بلغت أكثر من (٥%) من مجموع الولادات،وحالات سرطانية طالت (١٢%) من سكان محافظة البصرة، آما على نطاق العراق فيتراوح العدد المسجل لدى وزارة الصحة العراقية ما بين (١٢و١٤) ألف مصاب بالسرطان، وتضاف إليهم إصابات جديدة بحوالي (٧٥٠٠) إصابة سنوياً[٣٤]، في أيلول وتشرين أول عام ٢٠٠٣م، قام مركز البحث الدولي المستقل المختص بطب اليورانيوم (UMRC) بإجراء مسوحات ميدانية إشعاعية علمية واسعة في مدن وسط وجنوب العراق ابتداءً من بغداد وانتهاءً بابي الخصيب في الجنوب، وقد أثبتت وجود التلوث الإشعاعي في كل مكان، في الهواء، والماء، وفي أجسام الملامسين، وحتى في جثث القتلى، والأنقاض،وبنسب تجاوزت الحد المسموح به بأكثر من(٣٠) ألف مرة [٣٥]، وتشير الإحصاءات الصادرة عن الصحة والبيئة في مجلس مدينة البصرة تموز عام ٢٠٠٤م، إلى وجود (١٢%) من سكان مدينة البصرة مصابين بأمراض السرطان، بسبب التعرض الإشعاعي ، آما بالنسبة لمحافظة ميسان فان نسبته بلغت (١٤%) ، آما في محافظة بابل، فقد كشف مصدر طبي عن ارتفاع معدل الإصابة بأمراض السرطان في منطقة الفرات الأوسط[*] بنسبة (٩٥%) عن معدل الإصابة في السنوات السابقة محذراً من إمكانية ارتفاع هذه النسبة مستقبلاً ما لم تتخذ إجراءات سريعة، فلقد سجل احد المختصين بأمراض السرطان أكثر من (٥٤٦٥) حالة سرطانية للأعوام ١٩٩٠، ولغاية٢٠٠٥م [٣٦] ، يشير تقرير بيئي دولي صدر في أيلول ٢٠٠٥م أن الاستخدام المفرط للمواد الكيميائية في العراق هو السبب في ظهور العديد من الإصابات بالسرطان، ويعود السبب في ظهور الزيادة في نسب أمراض السرطان

إلى التلوث البيئي الكبير الناتج عن الاستخدام المفرط للمواد الكيميائية المشعة، وأعلن الدكتور (وجدي هيلو) رئيس البيئة والصحة المهنية في جامعة (بروك) الأمريكية، بان البيئة في العراق ملوثة بدرجة كبيرة مما أدى إلى العديد من الأمراض، كسرطان الجلد والجهاز التنفسي، وأوضح (هيلو) إلى أن البيئة في العراق عانت بشكل كبير خلال الأعوام الماضية من استخدام المواد المشعة في الحروب ، وفي الصناعة[٣٧].

أما حصة الأطفال من هذا فيبدو انه أصبح أكثر شيوعاً من معدلاته في الدول الغربية، ويشكل(٨%) من السرطانات في العراق، وان أكثر السرطانات شيوعاً بين الأطفال هو سرطان الجهاز اللمفاوي، وأورام الجهاز العصبي، وزيادة في نسب حالات الدم في المحافظات الجنوبية بنسبة (٩%) لغاية ١٩٩٨[٣٨] ، وإذا انتقلنا إلى محافظة نينوى في شمال العراق ، فقد أكدت مستشفى الأورام والطب النووي في المحافظة بان عدد مرضى السرطان بلغت خلال العامين الأخيرين ٢٠٠٥-٢٠٠٦ (٤٧١١) مريضاً عراقياً منهم (٢٨٨٥) ذكوراً و (١٨٢٦) إناثاً، أما عدد المصابين بالسرطان للعام الجاري ٢٠٠٧م، فقد زاد على ما كان عليه سابقاً، وارتفع عدد المراجعين للمستشفى من (١٠٠٠) شخص إلى (٥٠٠٠) مراجع حالياً، ومعظمهم يأتون من عموم العراق .

اما الأمراض السرطانية المتفشية فهي :ـ

١. سرطان الرئة والقصبات الهوائية بنسبة (٧٠%).
٢. سرطان الثدي لدى النساء .
٣. سرطان الدم الذي اغلب ضحاياه من الأطفال ويشكل (٣٥%).
٤. سرطان الغدة اللمفاوية فيأتي بالدرجة الرابعة.

وعن الأمراض السرطانية المتفشية في الموصل مركز محافظة نينوى يقول الطبيب الاختصاص في المستشفى بان الأمراض المتفشية هي (مرض سرطان الرئة) وهذا بسبب التدخين، اما المرض المتفشي الأخر فهو (سرطان الثدي) ومرضاه من النساء، وسرطان الدم والدماغ يصاب به الأطفال (٣٥%)، وسرطان الغدد اللمفاوية[٣٩].

وعن أسباب المرض والعوامل التي تساعد على الإصابة به، والإجراءات للحد منه فيحدثنا الدكتور المسؤول، وعضو مجلس السرطان في العراق قائلاً(أن الأسباب كثيرة فهناك عوامل داخلية ، وعوامل خارجية يكون لها الدور الأساس في استفحال هذا المرض، وهي : اولا التدخين الشديد، ونوع التبغ، فهناك مواد كيميائية تدخل في صناعة هذه الانواع، كذلك (النركيلة)، والعامل الآخر التعرض للإشعاعات السينية،الأشعة البنفسجية الموجودة في الشمس التي تحدث بعض الأمراض في الجلد، والعوامل الأخرى تناول بعض المواد الغذائية التي تدخل فيها المواد الحافظة التي قد انتهت مدة صلاحيتها، كذلك استعمال بعض زيوت الطعام قد

تؤثر في مرض السرطان، والعامل الآخر هو بعض الفيروسات والروائح التي أثبتت الإحصاءات أنها من المسببات التي تسبب أمراض الأنفلونزا والبلعوم الأنفي، والعامل الآخر هو نوعية المهن التي يقوم بها المريض، فقد تكون بعض المهن مؤثرة ومؤدية للإصابة بهذا المرض) [٤٠].

الاستنتاجات Conclusion

١. السرطان Cancer مرض خبيث يصيب الإنسان والحيوان والنبات، وهو يصيب الكبار والصغار ، والفقراء، والاغنياء.
٢. لاحظ العلماء المختصون، وجود علاقة بين التقدم في السن والإصابة بمرض السرطان، وان معظم الوفيات بمرض السرطان تنحصر في سن(٤٥_٦٥).
٣. مرض السرطان سبب رئيس للموت في العالم،فمن مجموع (٥٨) مليون وفاة في أنحاء العالم، فان (٧،٦) مليون شخص يموتون بمرض السرطان، أي بنسبة (١٣%) من جميع الوفيات.
٤. أكثر من (٧٠%) من جميع وفيات السرطان التي حدث في العام ٢٠٠٥م، كانت في الدول ذات الدخل المنخفض والمتوسط، ويتوقع الخبراء في الشأن الصحي أن تستمر الزيادة في مرض السرطان في العالم مع تقديرات، بوفاة (٩ ملايين) إنسان في العام (٢٠١٥م)، و(١١مليون) في العام (٢٠٣٠م).
٥. أوضحت الكثير من الدراسات المتخصصة، أن مرض السرطان نتاج تفاعلات بين المخلوقات والبيئة المحيطة بهم، فتتأثر نسبة الإصابة بهذا المرض بنوعية الغذاء ، والتدخين، والكحول، وتلوث الهواء، وسلوكيات البشر في طريقة معيشتهم وأكلهم، وقد وصف احد الباحثين مرض السرطان بأنه(مرض اجتماعي Social dieases).
٦. تشير دراسة التوزيع الجغرافي العالمي لمرض السرطان ، أن كل بلد في العالم تتفشى فيه أنواع معينة من السرطان أكثر من تفشيها في بلدان أخرى، وهذا يؤكد ما جاء في الفقرة رقم (٥) أعلاه.
٧. أكدت الدراسات الوبائية Epedemological Studies أن عوامل الاختلافات التي ترتبط مع مرض السرطان هي عوامل كيميائية، وفيزيائية ، وعوامل مرتبطة بالتغذية، وعوامل نفسية،وأخرى بنوع الجنس (Sex)،والعرق(Race)،والمهنة (Profession)، والعادات والتقاليد(Customs and Habits) ، والبيئة المناخية (Environmental Weather).
٨. إن الظروف القاسية التي مر بها العراق للفترة (١٩٩٠_٢٠٠٣م) والى الوقت الحاضر، خلفت الكثير من الأمراض، وعلى رأسها مرض السرطان الذي يأتي في المرتبة الأولى

بين الأمراض، وان هناك ارتفاعا متزايداً في حالات الإصابة بالأورام السرطانية تسجل سنوياً نحو (٧٥٠٠) حالة بسبب نقص العلاج، وقلة الإمكانات المتوفرة، وهذا يعود إلى أن القوات الغازية بقيادة أمريكا أفرغت (١،٩) مليون طن من المواد المتفجرة والتدميرية على العراق أرضا وشعباً، وكما يؤكد ذلك مدير برنامج الأمم المتحدة في العراق في ٢٠٠٥م.

٩. في عام ٢٠٠٣م قام مركز البحث الدولي المستقل المختص بطب اليورانيوم بإجراء مسوحات ميدانية إشعاعية علمية في مدن وسط وجنوب العراق والتي أثبتت وجود التلوث الإشعاعي في كل مكان في الهواء والماء وبنسب تجاوزت الحد المسموح به بأكثر من (٣٠) ألف مرة، وفي عام ٢٠٠٧ أقرت وزارات الصحة والبيئة، والعلوم والتقنية العراقية بوجود التلوث الإشعاعي في العديد من المناطق العراقية ، مما أدى إلى تفشي أمراض سرطانية بنسبة (١٢_١٤) ألف إصابة .

المصادر والهوامش

1. media center/fact sheets/as297/en index .html

٢. المعجم الوسيط، إبراهيم مصطفى وآخرون، الجزء الأول ، المكتبة العلمية ، طهران، بدون سنة، ص ٤٢٩.

٣. دائرة معارف القرن العشرين، محمد فريد وحدي ، المجلد الخامس، دار المعرفة بيروت ، ص١٠٥.

٤. منير البعلبكي ، قاموس المورد، ط٢ ، دار العلم للملايين، بيروت، ١٩٨٧، ص٦٧٧.

٥. دائرة معارف القرن العشرين، المجلد الثامن، مصدر سابق، ص٧٤٤.

٦. منصف الرزوقي ، الدليل إلى التثقيف الصحي، دار الشؤون العامة، بغداد، العراق، ١٩٨٦، ص ١٦٢.

٧. المصدر نفسه، ص ١٦٢.

٨. يوسف إبراهيم المشني، علم الاجتماع الطبي، ط١، دار المستقبل للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٠، ص ٨٨.

٩. عقيل عبد ياسين، وطارق حنظي، السرطان ومسبباته، مطبعة التعليم العالي ، بغداد، ١٩٩٠، ص ١ -٢.

١٠. المصدر نفسه، ص ٢.

١١. المصدر نفسه، ص١_٢.

١٢. المصدر نفسه، ص ٢ .

١٣. (د. كمال السامرائي، مختصر تاريخ الطب العربي، ج٢، دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٥، ص ٣٠٢. (وكان ما أورده السامرائي وارداً في (الملكي ١٩٠/٢،العمدة ٢/ ١٥، والتصريف للزهادي ص ١٩))

١٤. مختصر تاريخ الطب ، مصدر سابق ، ص ٣٠٤.

15. Lexicon, Universal Encyclopedia (1988), New York,P:101.

16. www. Arab volunteering .org /cancer/show thread . php?p = 34918(منتدى التطوع العربي)

١٧. منتدى التطوع العربي ، مصدر سابق.

18. ([1])www.keldo. Ws/cgiin /ik on board/topic.cgi? forum (منتديات عين كاوة)

19. ([1]) J.E. Park. Prevention and social medicine ,1983,India,P;406.

٢٠. د. عقيل عبد ياسين ، مصدر سابق ، ص١٨_١٩ .

21. Lexicon .Universal Encyclopedia (1988), New York .p; 01.

22. J. E. Park, Preventive and Social medicine (1983).India .p: 409.

23. www.iraqcenter. Net /vb/show thread.php? =12807 /١/مايو ٢٠٠٥شبكة العراق الثقافية

24. www.efn.friends of democracy.net /utility/tb/?id=753679 شبكة أصدقاء الديمقراطية

٢٥. المصدر نفسه، شبكة أصدقاء الديمقراطية .

٢٦. المصدر نفسه ، شبكة أصدقاء الديمقراطية

27.) www.Oman Jordan .org/a. News/wmvear.php?artid. موقع شبكة آفاق ٢٠٠٥م

28. www.org/debat/show.art.asp? الحوار المتمدن العدد ١٠١٥/ ٢٠٠٤

29. www.Iraq center .net /vb/show thread.php? شبكة العراق الثقافية / مايو ٢٠٠٥

٣٠. شبكة أصدقاء الديمقراطية ، مصدر سابق.

٣١. منتدى شبكة العراق الأخضر ، التلوث الإشعاعي بذخيرة اليورانيوم المنضب ينشر السرطان في العراق والدول المجاورة ١٥/٤/ ٢٠٠٨.

٣٢. منتدى شبكة العراق الأخضر ، مصدر سابق .

٣٣. المصدر نفسه

٣٤. شبكة أصدقاء الديمقراطية ، مصدر سابق.

(*) تشمل منطقة الفرات الأوسط محافظات (بابل ، والديوانية، والنجف، وكربلاء).

٣٥. المصدر نفسه

٣٦. المصدر نفسه

٣٧. المصدر نفسه .

38. www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=26451

39. الحوار المتمدن ، تقرير عن إصابة العراقيين بمرض السرطان العدد (١٠١٥، ٢٠٠٤/١١/١٢).

٤٠. المصدر نفسه .

This document was created with Win2PDF available at http://www.daneprairie.com.
The unregistered version of Win2PDF is for evaluation or non-commercial use only.